

سورة الأنعام

اسم الدرس: تفسير سورة الأنعام ج ١٥ | الآيات [٩٣:٩٨]
تصنيف الدرس: مجلس تفسير

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نستكمل بإذن الله -عز وجل- ما بدأناه في تفسير سورة الأنعام، وكنا توقفنا عند قول الله عز وجل: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: ٩٤].

كنا تكلمنا في المرة الماضية عن مثلث: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] والذي يسمى

أصول الإيمان الثلاثة:

- الخلق
- البعث
- الرسالة أو الوحي.

إن من يكتمل عنده هذا المثلث بصورة صحيحة سيمشي في الطريق بصورة صحيحة.

قلنا الثلاثة {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}، جاءت من غير (واو) فقط في سورة الحج {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الحج: ٧٤]. وفي سورتي الأنعام والزمر {وما}.

الآية في سورة الحج في الخلق، في سورة الزمر في البعث، في سورة الأنعام في الوحي؛ هذه أصول الإيمان الثلاثة. وقلنا كل واحدة فيهم تضرب وتنفي طائفة من الطوائف الضالة؛ الخلق مع الملحدين، البعث مع المشركين، الوحي مع كل الفرق الضالة التي أعرضت عن القرآن.

مع بداية هذه الصفحة: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] قلنا إن هذا سوء ظن بالله، أن يظنوا أن الله -عز وجل- يترك الخلق بدون هداية وبدون وحي وبدون توجيه؛ هذا -والعياذ بالله- سوء ظن بالله سبحانه وتعالى.

أن تعتقد أنه يوجد أمر هام للبشرية يُصلح لهم أحوالهم: دينية، أو دنيوية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية... أن تظن أنه يوجد أمر هام تنبني عليه أمور هامة في علاقات الخلائق مع بعضهم البعض، ثم تدعي أنه لم يكن لله -عز وجل- في هذا الشيء أمر أو توجيه؛ هذا سوء ظن بالله!

لأنك بهذا تدعي أن الله -عز وجل- لم يكن يعلم هذا الشيء -حاشاه سبحانه-، أو تدعي أنه كان يعلمه ثم نسي أن يخبرنا به -حاشاه سبحانه وتعالى-. مثلاً: عندما يكون هناك مُدَرِّس أو مُعَلِّم أو أب ترك أولاده في أمر مهم جدًّا جدًّا ولم يقل لهم كيف يتصرفون فيه -مال مُعَيَّن أو شيء كهذا- ولم يقل لهم، فإما أن يقولوا: والدنا لم يكن يعلم، أو والدنا نسي أن يقول لنا والله المثل الأعلى.

فادعاء هذا -حاشاه سبحانه وتعالى- بالنسبة لله -سبحانه وتعالى- أن تدعي وجود أمر خاص مهم للبشرية لم يكن لله فيه وحي؛ هذا سوء ظن بالله.

قلنا تختلف طريقة الإنكار لمن يريد أن يتملص ويريد أن يهرب من ضوابط الوحي والشريعة - القرآن والسنة- بطرق مختلفة:

- إما أن يقول: { مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام: ٩١].
 - أو يُقسِّم الوحي قراطيس كما قال تعالى { الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } [الحجر: ٩١] في آخر سورة الحجر.
 - أو أن ينسب أشياء للشرع، هو يتمنى شيئاً وهذا الشيء غير موجود في الشريعة، فيضيفه ويقول: ربنا هو الذي قاله! { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا } [الأنعام: ٩٣].
 - أو يدعي أن الوحي نزل عليه كما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم!
 - أو يقول: أنا سأتى بوحى غير ما أنزله الله عز وجل!
- أيًا كان المكان الذي سيضع نفسه فيه؛ مكان مُنزل الوحي، أو مكان مُتلَّمِّي الوحي، أو ينسب شيئاً لمنزل الوحي، أو يدعي كذباً على الذي أوصل لنا الوحي صلى الله عليه وسلم.
- أيًا كان المكان الذي سيتخذه... هو ظالم ومفتِّرٍ توعده الله -عز وجل- بالعذاب المهين، قال تعالى في آخر الآية: { الْيَوْمَ نُجْزِيكَمْ عَذَابَ الْهُونِ } [الأنعام: ٩٣]

لذلك سيأتينا لاحقاً في سورة الأنعام، أنه يوجد بعض الناس يَشْتَرِطُونَ عَلَى الْإِيمَانِ: أي إنهم لن يؤمنوا { حَتَّى نُؤْتِي مَثَلًا مَّا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ } [الأنعام: ١٢٤]، هو لا يريد أن يكون مثل بقية الناس، هو قد يقبل الدين إن كان هو رسولاً، إن كان هو مُشرِّعاً، إن كانت له منزلة كبيرة، إنما أن يعيش مثل

عامة الناس، وأن يتلقى الدين من النبي صلى الله عليه وسلم! لا هو لا يقبل هذا وسيأتينا التفصيل في الآية القادمة.

الشاهد: { الْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ } قلنا شيئين:

- إما الذي يقول { عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ }
- أو إنه يرفض آيات الله عز وجل { وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } [الأنعام: ٩٣].

ثم الآية التي معنا اليوم { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى } [الأنعام: ٩٤] الإنسان عندما يوضع في مشكلة في

الدنيا

- إما أن معه من المناصب والأموال والأسباب ما يخرج به من هذه الورطة
- أو من المعارف والاتصالات التي تخرجه من هذه الورطة
- وربنا نفى عنهم الاثنين

{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ } لا معك أموال ولا

معك أسباب ولا معك مناصب، ليس معك أي شيء يُخرجك من هذه الورطة.

{ جِئْتُمُونَا فُرَادَى } { وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ } حتى النعيم الذي كنت تحارب به الله - عز وجل - وتصد به عن دين الله - عز وجل - وربنا - سبحانه وتعالى - هو الذي أعطاك إياه أصلاً { وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ } هذا بالنسبة للأموال التي من الممكن أن تُخرجه من الورطة.

وبالنسبة للمعارف { وَمَا نَرَى مَعَكُمْ } الأسلوب أصلاً أسلوب تهكمي! تخيل أن تقول لشخص: أين هم الناس الذين كانوا معك؟ وكانوا يدعون أنهم أبطال؟ وأنت تعبدتهم، وأنهم سينصرونك، وتلجأ إليهم في النفع والضرر، أين هم؟ أين هؤلاء؟ { وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ } أين الذين اتخذتموهم شركاء!؟

طبعاً الذي يتخذ شريكاً مع الله - عز وجل - كثير جداً:

- إما أن يتخذ شريكاً مع الله - عز وجل - في الخلق؛ أن يدعي وجود خالق مع الله عز وجل

• أو أنه يوجد أحد يتدخل في تدبير الكون - ليس في الخلق لكن في التدبير - أي في النفع والضرر والرزق تحديداً.

يدعي أنه يوجد أشخاص يتدخلون في هذه المنظومة، أو يدَّعي أنه يوجد شريك في التشريع، والسياق هنا يتماشى مع قضية التشريع لأنه هنا: { **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ** } [الأنعام: ٩١] فزعموا أن الله شركاء؛ أيًا كان نوع الشراكة التي يتخذونها مع الله - عز وجل - وحاشاه - سبحانه وتعالى - عن ذلك أيًا كان نوع هذه الشراكة، هؤلاء ربنا - عز وجل - يقول: أين هم؟ ليسوا معكم؟! { **وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ** } [الأنعام: ٩٤]

ماذا يعني { **فِيكُمْ شُرَكَاءُ** }؟ بعض المفسرين قال:

{ **فِيكُمْ شُرَكَاءُ** } أي أنكم ادعيتم أن فيكم أناسًا آخرين يملكون منكم كما أن الله - سبحانه وتعالى - يملككم { **وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ** } أي الشفعاء { **فِيكُمْ شُرَكَاءُ** } يملكونكم كما أن الله - عز وجل - يملككم! يملكونكم! يملكون فيكم حق التصرف وحق التشريع وحق الأمر والنهي، تعتقدون أن هناك من يملك هذا الحق من البشر، وهذا المثل الذي ضربه ربنا في سورة الزمر: { **رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ** } [الزمر: ٢٩] ذات التعبير بنفس حرف الجر "في" { **أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ** } فيشعر الذي يعيش بهذه الطريقة أنه مملوك لأحد غير الله، فيضطر أن يُقدِّم قرايين لغير الله - عز وجل -، يضطر - حتى إذا كان كارهاً - مع أنه يوجد أناس يحبون ذلك { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** } [البقرة: ١٦٥].

لكن هو أحياناً يكون مضطراً أن يُقدِّم للآلهة أو للجن خوفاً، مثلما كانوا ينزلون في مكان ويقولون: (أعوذ بسيد هذا الوادي). عندما كان بعض العرب ينزل في مكان يخاف أن تكون الجن تسكن فيه فيستعيذ بسيدهم، خائف من الجن فيُقدِّم لهم القرايين اعتقاداً أنهم يملكون فيه شيئاً.

لكن أنت كمسلم يومياً تُذكّر نفسك صباحاً ومساءً تقول: (أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ)¹، وتُذكّر نفسك عند أي شيء يحدث (إِنَّا لِلَّهِ)² الذي يملكنا، لام الملكية هذه هي الله فقط لا يملكنا أحد تصرفاً، تقديرًا، خلقًا، تدبيرًا، رزقًا، نفعًا، وضرًا، هذا هو التوحيد.

كمال نسبة هذه الأشياء لله فقط؛ هذا هو التوحيد، كما أن (لا إله إلا الله) أي (لا إله إلا الله) في الذات، كذلك في الصفات (لا إله إلا الله) أي لا يرزق على الحقيقة إلا الله {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: ٣].

أنت يجب أن تعتقد هذا يقينًا في قلبك، أن الذي يملك النفع والضر وحده الله سبحانه وتعالى، الذي يملك الرزق وحده هو الله سبحانه وتعالى، (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)³.

فبعد أن نفى ربنا عنهم أي أموال أو أسباب أو أي علاقات، ربنا يقول لهم: {لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: ٩٤]، وفي قراءة متواترة أيضًا: {لقد تقطع بينكم} سواء بينكم أو كان بينكم، سواء هذا اسم مكان أو ظرف مكان... هذه هي العلاقات التي كانت قائمة بينهم،

¹ كان نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ: أَرَاهُ قَالَ فِيهِمْ: لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ =أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لِلَّهِ.

الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٢٧٢٣ | خلاصة حكم المحدث :

[صحيح]

² ما من مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، [البقرة: ١٥٦] اللَّهُمَّ اجْرِبْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلَ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي فَتَيْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: أُرْسِلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بَنَاتًا وَأَنَا غَيْرُورٌ، فَقَالَ: أَمَا ابْنَتْهَا فَتَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغَيِّرَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ.

الراوي : أم سلمة أم المؤمنين | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٩١٨ | خلاصة حكم المحدث :

[صحيح]

³ من قال إذا أصبح : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كان له عدل رقيب ، من ولد إسماعيل ، وكُتِبَتْ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرُ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَ فِي جِرِّزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَإِذَا قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ

الراوي : أبو عياش الزرقبي | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٦٤١٨ | خلاصة حكم المحدث :

صحيح

اتخذوا علاقات كما قال لهم إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم - كما أخبر الله عنه في سورة العنكبوت: { وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ } [العنكبوت: ٢٥].

علاقات !

الإنسان ينشأ بينه وبين البشر علاقات - أظن أننا فصلنا هذا الكلام قبلاً - كما أخبر الله - عز وجل - أنه يوجد علاقات طبيعية بين الناس: { إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } [الحجرات: ١٣]، يوجد علاقات مُعَيَّنة مثل: أنا شعب واحد، وعلى أرض واحدة، أو من عائلة واحدة، أو من قبيلة واحدة النسب، يوجد علاقات تجمع الناس.

لكن العلاقة التي لا بد أن تُقدَّم على كل العلاقات هي علاقة الإيمان { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ } [الحجرات: ١٣]، وفي ذات السورة { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات: ١٠]، الذي يُقدَّم أي علاقة - سواء علاقته بتراب البلد، بوطنه، بأهله، بعشيرته، بقبيلته - على علاقة الإيمان سيُحاسب { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ } كل أنواع العلاقات الذي سيُقدَّمها على { اللَّهُ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } [التوبة: ٢٤].

هنا ربنا يقول لهم: العلاقات التي اعتقدتم أنها نفعتكم في الحياة الدنيا؛ أقاموا مع بعضهم علاقات وسيدنا إبراهيم يقول لهم: { وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا }.

على أي أساس اتخذتم الأوثان { مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ } [العنكبوت: ٢٥] ماذا يعني؟ أي هم جمعوا بعضهم عليها، ما الذي جعلهم يتجمعون مع بعض على شيء واحد؟ ما الذي جعل رؤساء الجاهلية - رؤساء الشرك - الذين هم السادة، الذين هم المتبوعون، الذين يأتون في القرآن دائماً أنهم يُضَلُّون الضعفاء - الذين يسمعون كلامهم من المستضعفين - ما الذي جمع بينهم؟ ... جمع بينهم مصالح مُعَيَّنة، هذه المصالح اختزلت في شكل أنهم يتخذون أوثاناً، هذه الأوثان يُتَقَرَّب إليها، وهم يأخذون المال الذي يُتَقَرَّب للأوثان به، هم ينتفعون بهذه المنظومة الجاهلية، فأجتمعوا على أن هذه الأوثان هي مصدر المودة، لذلك من الطبيعي أن يتنازلوا لبعضهم عن مناصب مُعَيَّنة أيام الجاهلية.

فمثلاً عندما تأتي لقصة الساحر والملك والغلام، الساحر كان يعمل على تثبيت ملك الملك، لماذا؟ لماذا لا يلحم الساحر أن يكون هو الملك مثلاً؟ هو غير مشغول بذلك، أهم ما في الأمر أن تظل المنظومة الفاسدة التي تحافظ له على مصالحه الدنيوية باقية قائمة، أيًا كان الرئيس، أيًا كان الملك، ليس مهمًا، بل من الممكن أن يتنازلوا لبعض، أهم شيء أن تظل المنظومة الفاسدة مستمرة وقائمة. هذه العلاقات البيئية التي كانت بينهم، التي كانوا يحافظون عليها بكل ما أوتوا من قوة حتى تحافظ لهم على منظومتهم ومصالحهم الدنيوية، ربنا يقول لهم: ستتقطع يوم القيامة! { الْأَحْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } [الزخرف: ٦٧] { ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ } ليس هذا فقط، وأيضًا { وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } [العنكبوت: ٢٥]

كل واحد منهم يتهم الآخر، أنت الذي ضيعتني، لا... بل أنت الذي ضيعتني!... هذه العلاقات سوف تتقطع يوم القيامة. كل علاقة لا يُتغى بها وجه الله - عز وجل - سوف تكون حسرة وندامة يوم القيامة. لذلك أي مجلس عابر بيننا وبين بعض قمنا منه ولم نذكر الله ولم نُصَلِّ على رسوله صلى الله عليه وسلم سيكون علينا حسرة يوم القيامة، وكان علينا ندامة؛ لأننا على ماذا تجمعننا؟ ماذا فعلنا ونحن نجلس معًا؟ بما أننا طيلة الجلسة لا ذكرنا ربنا ولا صلينا على النبي صلى الله عليه وسلم، إذاً ماذا فعلنا ونحن جالسون معًا؟ سيصبح هذا مجلس حسرة علينا... فما بالك بالعلاقات القائمة - ليس مجرد مجلس عابر - هذه العلاقات القائمة التي لا يُذكر فيها الله ولا تُدعم فيها سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ هذه العلاقات البيئية ستتقطع يوم القيامة.

والتشبيه الرائع في سورة البقرة { وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } لم؟

{ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } [البقرة: ١٦٦]

{ بِهِمُ } هذه على من تعود؟

{ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ } أي بـ { الَّذِينَ اتَّبَعُوا } الضعفاء، ربنا - سبحانه وتعالى - ذكر هنا تشبيهاً، السبب يُطلق على الحبل فابن عاشور يقول: عندما يجب أحد أن يتسلق نخلة فإنه يحضر حبلًا ويمسك به ويظل يصعد ويمشي نفسه أن يمسك الثمرة، لكن من الحسرة أن الحبل يتقطع به، وهو من شدة تحسره لا يستطيع أن يتخيّل أنه لن يقدر أن يصل للثمرة، فيظل ممسكًا بالحبل والحبل يقع به ولكنه متمسك به

بالرغم من أنه مقطوع! من شدة تعلُّقه بالسبب، أيًا كان هذا السبب!، حتى لو لم يوصله لشيء. فكلمة { **وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ** } بمعنى أنه تقطع وهو مازال يمسكه و متمسك به، { **وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ** } أي يظل ينادي على السادة، يظل ينادي على المتبوعين، يظل ينادي على إبليس، أي أحد لينقذه { **فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ** } [إبراهيم: ٢١] أي أحد، أي شيء { **يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ** } [غافر: ٤٩] أي صنف من أصناف العذاب، يظل ينادي وينادي وينادي... وتقطع به الأسباب لا ينفعه أحد ولا تنفعه هذه العلاقات.

يجب أن يحذر الإنسان في العلاقات التي يُقيمها في الدنيا ما هو الرابط الذي بيننا؟!... العصبية أحياناً تُعمي الإنسان عن الحقائق، أنه ينتمي لطائفة، أنه ينتمي لبلد، أنه ينتمي لقبيلة أو لشعب؛ هذه العصبية تعمي الإنسان عن الحقائق التي يرضاها الله عز وجل، لذلك هذه الروابط لا بد أن تُراجع من وقت لآخر، ربنا يقول على أخص العلاقات: { **إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** } [التغابن: ١٤] تخيّل! لا بد أن تظل على حذر في علاقاتك حتى مع زوجتك وأولادك!... فماذا عن العلاقات العامة؟! كيف يكون حالك فيها؟! هذه العلاقات سوف يأتي يوم وتتقطع: { **لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنِكُمْ** } أو هذه المنظومة التي (بينكم) { **لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنِكُمْ** } تنظر حولك لا تجد أحداً ينفك! { **وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** } [الأنعام: ٩٤]، العلاقات التي كانت تسانداك في حياتك ستنتهار.

لذلك منظومة "الملك - الساحر - الجليس الوزير" - في قصة لصحاب الأحدود- هي منظومة فاسدة، فلما أراد الجليس أن يتوب قتلوه؛ لأنه سيفضحهم، سيفضح هذه المنظومة، أي أحد يحاول أن يخرج من المنظومة يتعرض للأذى... لذلك تكون توبتهم صعبة، والقرآن ضغط عليهم ضغطاً شديداً بمعرفة الله -عز وجل- وأنه الذي يملك النفع والضرر في صور كثيرة حتى يجعلهم يتوبوا ويأخذوا هذا القرار، لأنه دخل في المنظومة الفاسدة.

لذلك خلّد الله -عز وجل- ذكّر مؤمن آل فرعون الذي حضر الاجتماع الخاص الذي كانوا يخططون فيه لقتل سيدنا موسى عليه السلام، عندما قال لهم { **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا** } [غافر: ٢٨]، علم بوجود خطة خاصة لقتل سيدنا موسى عليه السلام فقام مؤمن آل فرعون يرُدُّ عنه، لذلك ربنا يقول: { **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ** } أي دبروا لقتل هذا المؤمن حيلة كثيرة جداً { **مَا مَكْرُوا** } [غافر: ٤٥] خططوا له خططاً كثيرة جداً حتى يغتالوه؛ لكن ربنا حفظه.

فلذلك أمر مهم جدا يجب مراعاته؛ أن تكون العلاقات خالصة لوجه الله -عز وجل- سبحانه وتعالى. صاحبك الذي تصاحبه، زوجتك تختارها على أي أساس؟ تعامل ابنك على أي أساس؟ والدك، والدتك، أصحابك، أصدقاءك... لا بد للإنسان أن يراجع البوصلة الخاصة بعلاقاته مع الناس ابتغاء رضا الله -عز وجل- ابتغاء وجه الله -عز وجل- تذكر هذه الكلمة { **لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ** }، كل هذه العلاقات التي لا يُتغنى بها وجه الله -عز وجل- سوف تكون حسرة وندامة على الإنسان يوم القيامة: { **وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ** } [الأنعام: ٩٤].

الحديث عن الله

ثم نبدأ في شوط رائع، شوط جميل جداً في الكلام عن الله -عز وجل- وسورة الأنعام مليئة بالأشواط، آيات متتالية فيها كلام عن الله عز وجل، وكل شوط حقيقة يُركِّز على معنى، من الأشواط التي سبقت من قبل في أوائل السورة تكلمنا فيها عن الله -عز وجل- كانت تركز على وضع الإنسان في حالة الاضطرار وهو في منتصف البحر، هو مضطر، هو أمامه النار { **وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ** } [الأنعام: ٢٧]، { **وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ** } [الأنعام: ٣٠] هو في موضع اضطرار. الآيات تجعله في مواضع الاضطرار حتى يلجأ إلى الله -عز وجل- { **فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا** } [الأنعام: ٤٣]، أو تتكلم عن علم الله الشامل المحيط: { **وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا** } [الأنعام: ٥٩]. هنا شوط - حقيقةً - منهم من قال: هذه القدرة المبهرة، ومنهم من قال: هذا الجمال لأن اسم الله البديع الذي جاء هنا { **بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** } [الأنعام: ١٠١]... أيًا كان..

هذا الشوط حقيقةً يريد قلباً، بمعنى: هو لا يريد شرحاً، أي أنه حتى لو كنا سنشرحه فلست أنا، ولكن الشيخ مثلاً المغامسي أو خالد الراشد... شخص يكون قلبه رقيقاً، نحسه كذلك، بمجرد أن يقرأ الآيات ويقول كلمتين بيكي ونحن نبكي، هذه الآيات تحتاج هذا، لا تحتاج فكراً، هي تحتاج واحداً يقوم بالليل وحده يستشعر هيمنة الله على كل شيء، لكن قبل أن نتكلم في الآيات أريد أن أقول...

● مقدمتين مهمتين:

المقدمة الأولى: بالنسبة لهذه الآيات والتي تشبهها في القرآن - حتى نضع قواعد عامة - هذه الآيات والتي تشبهها في القرآن تُعَلِّمُكَ شيئًا مهمًّا جدًّا؛ من أهم الأشياء أنها تجعلك تعيش وأنت تربط كل شيء في الكون بالله سبحانه وتعالى، توصلك لمرحلة أنك لا ترى في الكون غيره سبحانه وتعالى، وكما يقولون - ورؤي عن كثير من الناس - أن معرفتك للأفعال توصلك للصفات، ومعرفتك بالصفات توصلك للذات... أي وأنت وأنت تتدرج في علاقتك بالله عز وجل، رؤيتك لأفعال الله جل وعلا تجعلك ترى صفاته سبحانه وتعالى، ورؤيتك للصفات تجعلك تظل على علاقة مباشرة بذات الله - سبحانه وتعالى - ، والكلمة التي قيلت في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ...)؛ هذه أفعال لله - عز وجل - وصفات له سبحانه وتعالى، ثم نرى التدرج (وأعوذُ بك منك) هو لم يعد ير إلا الله عز وجل؛ الكلام سمَّاه أكثر من واحد: مذهب الفناء...

أيًا كان - بعيدًا عن هذا الكلام - أي أنه لا يرى في الكون إلا الله، يرى قدرة الله - عز وجل - في خروج النبتة من البذرة، في حركة الشمس، في نزول قطرة المطر، في كل مشكلة تمر به، في كل نعمة تنزل عليه، في كل طلعة شمس، وفي كل دقة قلب، في كل نفس يأخذه، في كل مرة تعمل فيها الكليية... في كل شيء يحدث حوله، في كل قدر: { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن: ٢٩] سبحانه وتعالى، هذه الآيات تُعيد للإنسان الرؤية الصحيحة وترفع عنه الغطاء، غطاء الأسباب - وإن كانت موجودة - لكن الإنسان لا يصح أن يتوقف عند السبب ولا يُكْمَل!؛ هنا يأتي اسم الله "الأول"... فحين تفكر ما الذي فعل هذا؟... السبب الفلاني،

و ما الذي سبب هذا السبب؟ السبب الذي قبله،

ما الذي سبب السبب الذي قبله؟...

نظل نرجع لنجد أن الله هو "الأول" سبحانه وتعالى .

^٤ فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُخْصِي تَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَتْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ. الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٤٨٦ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

وأيضاً بعد انتهاء السبب يوجد سبب ثانٍ، وبعد انتهاء السبب الثاني؟ ستظل تسير حتى تصل لـ "الآخر"؛ لذلك اسمي [الأول والآخر] يُعَلِّمُكَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، أن كل سبب كان لا شيء حتى الإنسان نفسه! { هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا } [الإنسان: ١]، وكل سبب سيفنى لذلك ربنا يقول لك عندما تتوكل على أحد { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } [الفرقان: ٥٨] سبحانه وتعالى، فهذه الصفة ليست إلا له - سبحانه وتعالى -، فتوكل عليه وحده سبحانه وتعالى.

إذاً هذه الآيات تُعيد علاقتك بالكون لتكون علاقة طبيعية متناغمة مع الفطرة السليمة { وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [الإسراء: ٤٤].

عندما تقرأ الأفعال المنسوبة إلى الله ترى أن كل شيء في الكون... الحب، النوى، الحي، الميت، الإصباح، الليل، الشمس، القمر، النجوم، النفس، السماء، الماء، النبات، الخضر، النخل، القنوان، الأعناب، الزيتون، الرمان... إلخ.

كل شيء في الكون منسوب إلى الله - عز وجل - الله الذي يديره، الله الذي صنعه، الذي فعله، الله الذي خلقه، الله الذي جعله. نسبة هذه الأشياء لله - عز وجل - تُعيد علاقتك علاقة طيبة بالكون، وتربط كل شيء بالله سبحانه وتعالى.

لذلك تحيّل هذا الصحابي طيلة عمره يرى الشمس تطلع وتغرب، تطلع وتغرب.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يُصَحِّحُ لَهُمْ عَقِيدَتَهُمْ فيقول لهم: (أتدرون أين تبيت هذه؟) -الموضوع ليس أن الشمس تطلع وتغرب لا- (قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: تبيت ساجدة تحت العرش)^٥

^٥ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَبِي دَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُؤْتَى لَهَا أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [يس: ٣٨].

الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٣١٩٩ | خلاصة حكم المحدث:

[صحيح]

هذه عند المؤمن فقط، أما غير المؤمن فيقول: لا، هي تظل تدور والأرض تدور، وهذا الكلام لا يمكن أن يحدث وهذا الكلام ليس مقبولاً عقلاً... لكن المؤمن يُصدّق هذا.

{ثم تستأذن}، إذا الشمس لا يُقال عليها طلعت، إنما نقول: استأذنت فأذن الله لها...

إذاً لا يوجد شيء اسمه الشمس طلعت، ولا الدنيا "أمطرت" هذا مجازاً يُقال؛ لكن المعنى أن الله -عز وجل- أنزل المطر.

إعادة قراءة هذه الآيات مئات المرات، تُعيد على قلبك الحقائق المنسيّة.. أن كل شيء في الكون بإذنه - سبحانه وتعالى- فكما أن الشمس تستأذن، فالورقة قبل أن تسقط تستأذن، قلبك قبل أن يدقّ يستأذن، كليتك قبل أن تعمل تستأذن... كل شيء بإذنه سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]

حتى القلوب: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [الأنفال: ٢٤]

الخواطر والأفكار، الله -عز وجل- قادر أن يُنسيك الفكرة الهامة، قادر أن ينزع منك الذاكرة أصلاً.

كل شيء بقدرة الله سبحانه وتعالى؛ لذلك هذه من حِكَم أن ربنا -سبحانه وتعالى- يُقصّ دائماً على الأنبياء أو على الصحابة مواقف حدثت لهم؛ فمثلاً لماذا يُقصّ الله -عز وجل- على الصحابة غزوة أحد في سورة آل عمران؟ أو غزوة بدر في سورة الأنفال؟ أو غزوة تبوك في سورة التوبة؟ لأنه يُقصّ عليهم القصة من منظور مختلف تماماً.

مثل قول الله -عز وجل- لسيدنا موسى: {قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} [طه: ٣٦] عندما طلب

سيدنا موسى: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي} [طه: ٢٥-٢٦] الطلب الذي قدمه لربنا

-سبحانه وتعالى- وتوسل به إلى الله -عز وجل- فربنا قال له: {قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَّا

عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمَمِكَ مَا يُوحَى} [طه: ٣٦-٣٨]

وهنا ربنا عز وجل يُخبر سيدنا موسى بقصة حياته وهو صغير، مع أن سيدنا موسى يعلمها! لكن سترى

الفرق: كيف كان الناس يُقصّون هذه القصة؟ الناس كانوا يُقصّون القصة بأن أم سيدنا موسى "بدا لها"

أن تضعه في التابوت، ثم "بدا لها" أن تلقيه في البحر، ثم البحر "بالصدفة" وصل التابوت الذي فيه

سيدنا موسى عند قصر فرعون، "وبالصدفة" تلتقطه زوجة فرعون، "وبالصدفة" تحبه... لا؛ ربنا يُخبر أن الموضوع ليس كذلك: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ اقْدِرِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِرِيهِ فِي الْيَمِّ}.

هذا بالنسبة لأم سيدنا موسى، ماذا عن البحر؟ {فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ} أمر من ربنا للبحر: {بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ}، وتأمل: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ} هم لا يملكون قلوبهم {حَبَبَةٌ مِّنِّي وَلِيُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي} [طه: ٣٨-٣٩] ربنا يُقْصُ القصة من منظور مختلف تمامًا؛ أن الله -عز وجل- هو فاعل كل شيء حقيقَةً -سبحانه وتعالى-.

الإنسان عندما يقرأ مثل هذه الآيات في القرآن يُعيد هذه الصياغة في حياته فيصبح إنسانًا مُتَزَنًا، لا يخاف أحدًا، متوكل على الله، يعلم أن الرزق بيد الله -سبحانه وتعالى- بما أن الله -عز وجل- هو الذي ينزل الأمطار ويُجْرِجُ الأرزاق، ربنا الذي يفعل كل شيء فالإنسان يتوكل على الله. هذه الوقفة الأولى مع مثل هذه الآيات في القرآن.

الوقفة الثانية: وإن كانت تحتاج إلى وقت طويل لكن أُنَوِّه فقط بمعلومة عنها. هذه الآيات تُحَدِّثُنَا عن سنن كونية ثابتة: الشمس تطلع - الأرض تدور - الصباح/المساء له قواعد...

سُننٌ ثابتة في الكون، التي تُطَلِّقُ عليها نحن: "السنن الكونية المادية الثابتة" أو "السُنن الكونية".

هناك سُننٌ تُسَمَّى: "السنن الاجتماعية أو الشرعية" مثل: الظلم، العدل، الإيمان، نصرة المستضعف... هذه لها سُنن، وهناك سنن كونية ثابتة، قواعد؛ كالمياه تتبخر عند درجة حرارة كذا؛ هذه قواعد ثابتة.

عندما يُقْصُ الله -عز وجل- علينا ويخبرنا كثيرًا بهذه الآيات الكونية الثابتة التي وضعها الله في الكون، من أهم الفوائد -وهذه كان التقطها بعض العلماء مثلًا مثل ابن القيم ومن المعاصرين حَبَنَكَة الميداني ورفاعي سرور وغيرهم- نقطة هامة جدًا: الربط -والذي يُؤْتِي هذا يُؤْتِي فهمًا عميقًا جدًا في الدين-

الربط بين السنن الكونية والسنن الشرعية.

كيف؟! مثلًا: عندنا في القرآن: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا}

[الرعد: ١٧]، نزول الماء بكثرة وقوة واستمرار، وتدافع سُنَّةٌ أنه مع استمرار نزوله فيسيل، فالزبد والأشياء

القدرية التي بالوادي سترتفع في البداية ثم مع استمرار نزول الماء سيُلْقِي بها جانبًا: {أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا { [الرعد: ١٧] تظل فقايع الزبد تكبر ثم تُلقى جانباً، وهذا المنظر كسنة ثابتة مادة يحدث أيضاً للذهب عندما تُدخله النار، كالقواعد الكيميائية الثابتة: الذهب سيتعرض للنار فتظل هناك فقايع ورغوة تخرج تنزعها إلى أن يتبقى الذهب الصافي.

الاستفادة من هذه الأشياء بإسقاطها على الشريعة... ماذا قال الله في ختام هذا المشهد الكوني؟
 { كَذَلِكَ } كلمة كذلك هذه هامة جداً في القرآن؛ فهم السنن الكونية جيداً وفهم إسقاطها على الشريعة يحتاج بصيرة: { كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ } ماذا؟ { الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ } [الرعد: ١٧] ربنا قاس شيئاً مادياً على شيء معنوي "الحق والباطل".

تحدث كثيراً في القرآن: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ } [البروج: ١] شيء خلقه الله... ماذا يقول الله عز وجل بعد هذه الآية الكونية التي تتكلم عن شيء خلقه الله؟ يتحدث عن قصة أصحاب الأعدود.

{ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ } [الطارق: ١] يقول بعدها: { إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ } [الطارق: ٤]

يقول: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ } [الطارق: ١١-١٢] يُقسِم على أن القرآن: { إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ } [الطارق: ١٣]

انظر للأقسام: { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } [النجم: ١-٢]؛

ما هذه العلاقات الرهيبية بين سنن كونية وبين أشياء شرعية معنوية هامة جداً عندنا في الدين؟

ما العلاقة بين { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى } وبين { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ }؟

ما العلاقة بين { وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ } وبين { إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ }؟

ما علاقة { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ } وبين { إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ }؟

{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ } وقصة اصحاب الأعدود!!!

ما العلاقة بين أن ربنا قبل أن يتكلم عن عباد الرحمن كقاعدة ثابتة في هذه الدنيا من بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي...)^٦... ما العلاقة أن الله قبل أن يقول: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ

^٦ لا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَّهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ. وليس في حديث فُتَيْبَةَ: وَهُمْ كَذَلِكَ.

الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا { الفرقان: ٦٣ } يقول قبلها: { تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا
وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
شُكُورًا* وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ } [الفرقان: ٦١-٦٣]؟

ما العلاقة بين هذه الآيات الكونية وبين وجود عباد الرحمن؟
طبعًا كل ما سبق له علاقات وحكم ذكرها العلماء.

إذا فهم كل شيء في الوجود له مردود؛

لأن الذي خلق هو الذي أمر، من مصدر واحد، فله حكم ثابتة واحدة: { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ }
[الأعراف: ٥٤]

المعنى عميق إلى حد ما، ولكن نحتاج أن نفهمه.

فمثلاً: قاعدة مثل قاعدة نيوتن، المسماة بقانون نيوتن "لكل فعل رد فعل مُساوٍ له في القوة ومضاد له في الاتجاه"، هذه القاعدة أصلاً ستفيدك في حياتك الاجتماعية، أي ليست مع الماديات فقط، فهم الجاذبية، فهم القواعد الكونية، حركة الأرض حول نفسها وأنها تدور حول الشمس، هذه الحركة، يمكن إنزالها على أن الشخص يُفيد نفسه ويُفيد المجتمع... إذاً هذه الحركة لها مردود لها حكم.

وجود مادة صلبة ومادة سائلة ومادة غازية هذه تفيدك في فهم طبائع البشر!

أن يخبرك الله أن من الصخور ما يتشقق، وإن من الصخور ما يتفجر، وإن من الصخور ما يهبط. النبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا في حديث واحد: (أن الله - عز وجل - لما خلق الخلق قبض قبضة من الأرض كلها)^٧ فانظر إلى الربط بين أنواع الأرض وبين أنواع الناس؛ فمنهم الطيب والسهل والحزن والصعب؛ لأن أنواع الأرض مختلفة. فهناك ربط بين المادة الترابية المادية وبين الأخلاق المعنوية... هذا الأمر مفيد جدًا.

الراوي : ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ١٩٢٠ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

^٧ إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فحاء بنو آدم على قدر الأرض فحاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب.. الراوي : أبو موسى الأشعري | المحدث : ابن العربي | المصدر : عارضة الأحوذى | الصفحة أو الرقم:

٧٤/٦ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

فدراسة مثل هذه الآيات بعلم وبصيرة - الآيات الكونية التي ذُكرت في القرآن - ولم هذه الآيات تحديداً؟
دراسة هذه الآيات هامة ستفيدك في فهم الشريعة.

وأريد أن أخبرك إن من العجيب؛ نقل بعض العلماء عن العز بن عبد السلام إنه استنبط حُكْمَ قَتْلِ بعض الظُّلْمَةِ الذين تتحقق فيهم شروط الفساد بطريقة ما، أي الذين يُفْسِدُونَ فساداً معيَّناً... قال: "وهؤلاء يُقْتَلُونَ كما يُقْتَلُ الفَاسِقُ الخَمْسَةُ" النبي ﷺ قال (إن هناك فواسق يُفْسِدُونَ في الطبيعة الفأر - الحية...)^٨ فواسق خمسة يفسدوا في الطبيعة؛ قاس على هؤلاء، فكما يُفْسِدُ هذا في الحياة الدينية قال هؤلاء يُفْسِدُونَ في الحياة الطبيعية المادية، فهذا يُقْتَلُ كما يُقْتَلُ هؤلاء، تخيل!

انظر للعلاقة بين الوزغ الذي كان ينفخ نار سيدنا إبراهيم كعلاقة ولاء وبراء، أنت لو قتلت من أول ضربة لك عدد معين من الحسنات، والضربة الثانية لك عدد أقل من الحسنات، تخيل!... كان يساعد في اشتعال النار التي أعدوها لسيدنا إبراهيم، كيف تكون علاقتك به؟! فهناك ربط.

فأنت إنسان متناغم مع الكون، كما قال يوشع بن نون للشمس: "أنتِ مأمورة وأنا مأمور"^٩.

إذا فدراسة هذه الآيات التي تحبرنا أن هناك سنن كونية ثابتة تفيد في فهم السنن الشرعية ...

لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: { فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا } آل عمران: ١٣٧... فهم السنن الكونية يحتاج نظراً، يحتاج اعتباراً، تحتاج أن تفهم كيف ستفيدك آية: { فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى } الأنعام: ٩٥،

^٨ خمس فواسق يُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَمِ : الحية والفأرة والغراب الأبقع والكلب والحِدَاةُ

الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : ابن الملقن | المصدر : البدر المنير | الصفحة أو الرقم: ٣٧٣/٩ | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخریج : أخرجه البخاري (٣٣١٤)، ومسلم (١١٩٨) باختلاف يسير.

^٩ إنَّ الشَّمْسَ لم تُحِبَّسْ على بشرٍ إلا لِيُوشَعَ لِيَالِي سَارٍ إلى بيت المقدس وفي رواية (غزا نبي من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعني رجلٌ قد ملك بُضْعَ امرأةٍ ، وهو يُريدُ أن يبيي بها ولما يبئ بها ولا آخرُ قد بئى نبياً ولما يرفعُ سَقْفَهَا ، ولا آخرُ قد اشترى غنماً أو خِلْفَاتٍ ، وهو مُنتظِرٌ ولادها ، قال : فغزا ، فأدق للقرية حين صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، وفي رواية : فلقى العدو عند غيبوبة الشمس) ، فقال للشَّمْسِ : أنت مأمورة وأنا مأمورٌ ، اللَّهُمَّ احسبها عليّ شيئاً ، فحسبت عليه ، حتى فتح الله عليه ، [فغنموا الغنائم] ، قال : فجمعوا ما غنموا ، فأقبلت النَّارُ لتأكله ، فأبت أن تطعمه [وكانوا إذا غنموا الغنيمة بعث الله تعالى عليها النَّارَ فأكلتها] فقال : فيكم غلولٌ ، = فليباعني من كل قبيلة رجلٌ ، فبايعوه ، فلصقت يد رجل بيده ، فقال : فيكم الغلولُ ، فلباعني قبيلتك ، فبايعته ، قال : فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة [يده] ، فقال : فيكم الغلولُ ، أنتم غللتم ، [قال : أجل قد غللتنا صورة وجه بقرة من ذهبٍ] ، قال : فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهبٍ ، قال : فوضعوه في المال ، وهو بالصعيد ، فأقبلت النَّارُ فأكلته ، فلم تجلَّ الغنائم لأحدٍ من قبلنا ، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا ، وفي رواية (فقال رسول الله عند ذلك : إن الله أطعمنا الغنائم رحمةً بنا وتحفيماً ، لما علم من ضعفنا الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : السلسلة الصحيحة | الصفحة أو الرقم: ٢٠٢ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

وكيف ستفيدك آية {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} {الأنعام: ٩٥}، كيف ستفيدك آية {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} {الأنعام: ٩٦}

هذه دراسة تحتاج علمًا غزيرًا وبصيرة في الدين كي نستفيد من هذه السنن الكونية في حياتنا الاجتماعية. كما ذكر الله لنا.

لذلك في قوله تعالى في سورة النور: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ} [النور: ٣٤]. يقول الشيخ الميداني في أمثال القرآن: ماذا تعني الآية {وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ}؟ يقول: إن الوقائع التي جاءت في القرآن ستظل تتكرر إلى يوم القيامة ولكن بأشخاص مختلفين وبطرق مختلفة، إنما أصل الوقائع واحد ويتكرر.

اختار لنا الله من كل واقعة ستكرر في الحياة واقعة هامة ذكرها لنا في القرآن.. مثلًا اختار أصحاب الكهف؛ النموذج الذي يُضطهد ويهرب، اختار صاحب الجنتين، اختار قارون فرعون. اختار أمثلة معينة ستكرر إلى يوم القيامة.

عندما تفهم هذه النماذج القرآنية، ستفهم ماذا سيحدث إلى يوم القيامة، ويصبح لديك نماذج تقيس عليها. بمجرد أن ترى نموذجًا تقول: هذا مثل ذلك النموذج في القرآن، وهذا مثل ذلك النموذج في القرآن، وهذه السنة الطبيعية مثل السنة الشرعية تلك، كل هذا يحتاج إلى فهم عميق في الدين.

نرجع للآيات يقول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} [الأنعام: ٩٥]، كمعلومة بلاغية، عندما تبدأ الجملة بحرف التوكيد "إن" - والطبيعي أن تبدأ الجملة بدون مؤكدات - فعندما أريد أن أقول لك مثلاً ((أنا صليت العشاء))، فأقول لك: "صليت العشاء"، لكن عندما أقول لك: "إني صليت العشاء" فهذا يعني أن "إن" لها غرض: إما أنك كنت تُكذِّبني، أو أنك لم تتوقع مني أن أفعل هذا، أو أنني سعيد أني فعلت ذلك. أيًا كان السبب فبداية الجملة بـ "إن" لها أغراض؛ من أهمها أنك تُخاطب شخصًا مترددًا أو منكرًا.

فيحيي السياق بعد مُحاجة إبراهيم لقومه وبعد هداية الله - عز وجل - لإبراهيم، وذكر أن الله - عز وجل - هدى كل الأنبياء، وأثبت أن هناك وحيا لكل الأنبياء. بعد هذا يأتي تعريف بالله سبحانه وتعالى، وكيف للمشركين أن ينكروا بالرغم من الوضوح التام للآيات!!!

لذلك قال الله تعالى: { **قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ** } [الأنعام: ١٠٤]. من يجادل من بداية السورة، ويزعم أنه في حاجة إلى آيات، يقول له الله: { **قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ** } الأمور واضحة، هكذا كما قال لهم سيدنا إبراهيم بعد أن رأى ثلاث آيات - الكوكب، القمر، الشمس - قال إن الأمر واضح: { **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } [الأنعام: ٧٩]، من يريد أن يصل إلى الله عز وجل يستطيع أن يصل بأبسط الآيات.

فيبدأ شوط تعريف بالله سبحانه وتعالى { **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** * **فَالِقِ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا** } [الأنعام: ٩٥-٩٦] واضح من الآية الأولى أنها تتحدث في مسألة الإحياء والإماتة، وذكرت صورة من الإحياء عجيبة جدًا { **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى** } **صفة الخلق؛** الله - عز وجل - خلق الخلق له صفات معينة.

هناك ثلاثة ألفاظ معينة جاءت في القرآن

(الفطر - الفتق - الفلق)

- { **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا** } [الأنبياء: ٣٠]
- وهنا في الآية { **فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى** } ،
- وهناك أيضا { **فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** } [الأنعام: ١٤]

هذه معانٍ بالطبع تحتاج تحقيقًا قويًا كي تُفَرَّقَ بينها؛ إنما الثلاثة متقاربة المعنى: لكن **الفلق** خاص بالحب والنوى، **الفتق** خاص بالسموات والأرض، و**الفطر** أوسع. لذلك عندما جاء مع النفس هنا بعدها لم يقل "هو الذي فلقكم من نفس واحدة"، بل قال: { **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** } [الأنعام: ٩٨]. أي ذكر بدايات الخلق هو... حب ونوى يملأ منه الكون زرعًا، ونفس واحدة يملأ منها البشرية أناسًا، فهنا بدأ قال: { **فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى** }.

من صفات الخلق أنه يبدأ من شيء مصمت - وهذا حتى تعرف مدى إعجاز الخلق، حتى يعرف الملحدون أو من يدعون أنهم يستطيعون أن يخلقوا مثل خلق الله - خلق الله له وصف عجيب جدًا، الخلق يأتي من شيء مصمت، مثل الحب والنوى، خلق الله عكس ما يفعله الناس. البشر عندما يؤدّون

بناء بيت، ماذا يفعلون؟ يختارون مكانًا حاليًا، ثم يأتون بمواد البناء من أسمنت وطوب وغيره، ثم يبدأون في عملية الإنشاء والبناء حتى ينتهوا من إقامة البناية.

أما طريقة خلق الله للأشياء فهي مختلفة تمامًا - والله المثل الأعلى - فلو مثلًا سئني بيتًا بنفس طريقة الخلق فنأتي بطوبة ونتركها، ومن داخل الطوبة يخرج البيت! وهذا هو الفرق بين ما يصنعه البشر وما يخلقه رب البشر! الشيء - اللبنة الأولى - ذاته بداخله القدرة، بداخله القوة، بداخله الصفات، بداخله الغذاء.

بصق النبي صلى الله عليه وسلم في يده بصقة وقال: (يقول الله عز وجل: يا ابن آدم أنتي تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذا؟!)* مني الإنسان يحمل بداخله الصفات والمشاعر والقوة والرسم واللون والعضلات... كل هذا بداخله. فلا نحتاج أن نركب له ذراعًا أو عينًا، لا!.

النبته؛ تأتي بالبذرة وتسقيها بالماء تخرج لك النبته! هذا هو القلق والقنق والقنق. فصفة الخلق أن الله تعالى يُخرج الأشياء من داخل ذاتها وتظل تتسع وتكبر، قال تعالى في أول سورة الأنبياء: {كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} [الأنبياء: ٣٠]، وقال في آخر الأنبياء: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [الأنبياء: ١٠٤].

لذلك فإن للخلق صفتان لا يقدر عليهما إلا الله عز وجل:

- أولاً: أن الشيء يأتي من الداخل، من القنق والقنق والقلق،
- ثانياً: الازدياد المستمر والحركة المستمرة

هذا لا يفعله إلا الله، البشر لا يستطيعون فعل ذلك. إنه يحول البذرة النواة الصلبة الجامدة التي ليس فيها أي معالم ولا أي حياة، تحوي بداخلها ما يُخرج ثمرة لونها أصفر أو أحمر وطعم مختلف وورق وشجر كل هذا يخرج من هذه البذرة، ثم إن نفس هذه البذرة أو النواة يخرج منها جزء للأسفل يُكون جذورًا، وجزء يخرج لأعلى يُكون ساقًا، وجزء من الجانب يُكون أوراقًا، وجزء يُخرج ثمرة وتختلف: {يُسْقَى بِمَاءٍ

*10 يرق النبي صلى الله عليه وسلم في كفه، ثم وضع أصبعه السبابة وقال: " يقول الله عز وجل: أنتي تُعجزني ابن آدم وقد خلقتك من مثل هذه، فإذا بلغت نفسك هذه وأشار إلى حلقه قلت: أتصدق، وأنتي أو أن الصدقة

الراوي: بسر بن جحاش القرشي | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن ماجه | الصفحة أو الرقم: ٢٢٠٥ | خلاصة حكم المحدث: حسن

وَاحِدٍ وَنُفْصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ} [الرعد: ٤]، {ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَتَى تُوْفِكُونَ} [الأنعام: ٩٥].
لا أحد يستطيع فعل ذلك إلا الله.

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ} [الواقعة: ٥٨] انظر إلى المنى، كيف له أن يكبر في الرحم؟! هل يدخل له أي شيء في الرحم؟ إذاً كيف يكبر؟! ماذا يصل له من الخارج ويجعله فجأة بعظام وأعصاب وعضلات مرتبة ومنسقة وقلب وكبد وكلية ومعدة وأسنان. من أين أتى بكل ذلك؟ من داخله! الإنسان يلقي المنى في الرحم ويمشي، وفجأة يجد طفلاً وفي النهاية يقول ابني! يلقي البذرة في الأرض ويمشي، يضع عليها بعض الماء ثم يقول زرعي. ماذا فعلت أنت؟! ربنا - سبحانه وتعالى - هو من فعل كل شيء.

فمن صفات الخلق التي تُعجز الناس ليست أن يأتوا بأحماض أمينية وترتيب معين ويُعبروا ويقولوا هذا استنساخ وهكذا فإننا نخلق كخلق الله؛ هم هكذا يضحكون على الناس. لذلك جاءت بعدها {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} [الأنعام: ٩٥] قيل في {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} مثل ما ذكر الشيخ حبنكة في تفسيره قال: "إن الله قادر أن يُحوِّل الميت إلى حي"

وقيل: أن الله - عز وجل - يُخرج شيئاً حياً من شيء ميت مثل ناقة صالح أخرجها من صخرة، أو الحية من العصا، أو النبتة - التي معنا في المثال - من البذرة، وقيل: إنه يُحوِّل الشيء الميت أصلاً لشيء حيّ يحييها الله - عز وجل - ويدب فيها الحياة؛ وهذا هو الشيء الذي لن يستطيع البشر الوصول إليه؛ مهما ادعوا من علم لن يخلقوا، هذا هو الخلق.

إذاً فالخلق هو تحويل الميت لحي، وفيه صفة الفطر، وإنه يكبر؛ من يستطيع فعل هذا فقد خلق... أي لعب بأدوات موجودة أصلاً في الكون يضعها على بعض ويعمل منها شيئاً هذا ليس خلقاً! مثل من يقول {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} [لقمان: ٣٤] يقول نحن أتينا بأجهزة الموجات فوق الصوتية وعرفنا نوع الجنين، إذاً فنحن نعلم ما في الأرحام! فعلاً؟ هل هذا هو {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}! هذا هو آخر ما لديكم؟ هذا آخر طموحكم؟ هذا جهل!

الإنسان دوره في الكون أن يكتشف فقط بعضاً من السنن التي وضعها الله في الكون!!! هو لا يوجدها، هو اكتشف إن المياه هي ذرتين هيدروجين وذرة أكسجين، اكتشف إن الحديد مع كذا يخرج منه كذا... اكتشف أن الأحماض الأمينية كذا... اكتشف أن هذا الدواء يفعل كذا... هو يكتشف

فقط، ويُركَّب أشياء مما يكتشفها على بعض؛ فقط هذا هو ما يفعله! ليس هو من أوجد، ليس هو من وضع { **أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** } [طه: ٥٠] بمعنى خلق الخلق ثم هداه.

قرأت قصة اكتشاف أحد الأدوية، يقول أحد العلماء أنه رأى حيواناً يأكل نباتاً معيناً وبعدها يذهب ليأكل نباتاً آخر ثم يأكل النبات الأول ثم يعود ليأكل الثاني . فالعالم استغرب، فترك الحيوان -لا أذكر كان أرنباً أم ماذا- يأكل هذا النبات الأول ، ثم أزال الرجل النبات الآخر، فلما ذهب الحيوان ليأكله لم يجده فمات. فاكتشف العالم أن النبات الذي أكله الحيوان في البداية به نوع من السموم التي يعالجها النبات الثاني، فاكتشف أن هذا العلاج من الممكن أن يُستعمل في علاج السم الموجود في النبات الآخر؛ هذا هو دوره: أن يكتشف! من الذي هدى الحيوان لفعل ذلك؟

عندما تقرأ في قصص رحلة الحيوانات، الأسماك...

طبعاً هذه الآيات استفاض فيها سيد قطب في (ظلال القرآن)، والرازي والقاسمي هؤلاء الذين أذكر أنهم استفاضوا وجاؤوا بأمثلة كثيرة في قدرة الله المبهرة، ومن المعاصرين أغلبهم يأتي من كتاب اسمه "الله يتجلى في عصر العلم" شيء مبهر. وكل شيء من العلوم، كل دور الإنسان أنه يكتشف المجرات والكواكب والفلك والنحل والنمل وطرق الحياة ورحلة الأسماك ورحلة السلمون وطريقة النمل كيف تصل، والنحلة بعدما تمشي كيف ترجع... كل هذا هو يكتشف فقط... لكن من الذي فعل هذا الإعجاز كله؟ الله سبحانه وتعالى، الله خالق كل شيء سبحانه وتعالى.

{ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى** } [الأنعام: ٩٥]؛ إذًا مسألة الفلق والفلق والقطر لا يقدر عليها إلا الله، هذا هو نظام الخلق الموجود في الكون، إنه بدأ رتقاً، ثم توسع { **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** } [الذاريات: ٤٧]، ثم { **نَطَوَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ** } [الأنبياء: ١٠٤]؛ أن الإنسان الذي كان مَنياً يكبر ويصبح إنساناً، ثم يموت ويظل منه عَجَب الدُّنْب الذي منه ينشأ مرة أخرى... لا يفعل ذلك إلا ربنا، لا يفعل هذا إلا ربنا سبحانه وتعالى.

يعني مثلاً لو أردت أن تبني هذا المسجد من طاولة؛ يعني تأتي بطاولة وتضع عليها القليل من الماء، والطاولة هي التي تُخرج الطوب والأنوار وتوصل الكهرباء والأسلاك و... من يمكنه عمل هذا؟ لما البشر يستطيعوا عمل هذا -ولن يستطيعوا- يقولوا وقتها أنهم هكذا خَلَقُوا، لكن الإنسان لا يستطيع أن

يفطر، أو يفلق - لأنه هنا جماد - { **فَالِقُ الْخُبِّ وَالنَّوَى** } [الأنعام: ٩٥]؛ يفلق هذه الطاولة ويُخرج منها بتناسق هذا المسجد ، لا... لا يستطيع ولو شيء عشوائي فضلا أن يكون متناسقا.

مثلما الإنسان خرج من الميِّ بتناسق؛ الأعصاب والعضلات...

أنت لو رأيت في علم التشريح، لو رأيت فقط صفحة الإنسان مرسوم من غير الجلد، العضلات فقط من الخارج، -بعيداً عن النظر بميكروسكوب إلكتروني- فقط من الخارج شكله فقط العضلات مع الأعصاب والأوردة والشرايين شكل مبهر، أين كان هذا!؟

من الذي رتب هذه الأشياء؟ وكيف كان كل هذا في داخل الرحم؟ من الذي كان يصل له في الداخل؟

{ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** } عملية الخلق هذه تُمارَس وأنت في الداخل، لا يستطيع أحد أن يصل إليك في المستقرِّ الخاص بك { **فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ** } [الزمر: ٦]

عملية الخلق متواصلة ولا يستطيع أحد أن يصل إليك، من الذي يقدر أن يفعل هذا؟

يجب أن تجعل هذه علاقتك بالكون، تُعيد علاقتك بالكون مرة ثانية؛ لما تنظر إلى السماوات باتساعها، حركة القمر، حركة الأرض، حركة الشمس، المطر، ليكون عند قلبك هذه الحساسية وتربط كل شيء في الكون بالله سبحانه وتعالى.

تَخْيِيلٌ لو جاء واحد من المريخ، تخيل معي واحداً لم يكن يعيش على الأرض، ولأول مرة ينزل الأرض، وفوجئ بشيء يطلع في الصباح وينير كل الدنيا، فقال: ما هذا؟! هذه الشمس، من الذي يخرجها هكذا؟ تقول له: ربنا، وهي مستمرة - كل يوم - لا تنتهي؟... بلى، لا تنتهي...

تَخْيِيلٌ لو قلت له: تعال سأريك أمراً، وأحضرت تراباً أسوداً وبذرة سوداء ووضعتهم فوق بعض ووضعت عليهم بعض الماء ثم وجد أنها تُخرج منها مانجو، يقشرها ويأكلها ويقول لك: ما هذا؟ هذه كيف خرجت من هنا؟ من الذي أخرجها؟! وتفاح ورمان ويرتقال أنواعا مختلفة، ومن الصنف الواحد أنواعا كثيرة { **مُشْتَبِهًا** } [الأنعام: ٩٩] يعني يشبه بعضه لكن حقيقة هو { **غَيْرِ مُتَشَابِهٍ** } [الأنعام: ٩٩] كما سنأتي عليه الآن، من الذي يفعل هذا كله يا جماعة؟ هو الله سبحانه وتعالى.

إعادة هذه النظرة إلى الكون تكسر إلف العادة التي حدثت لنا.

الذي شقَّ النهر والذي شق البحر ونزَّل المطر ودورة المطر

وكيف أن حياة الذبابة مختلفة عن حياة الطيور، وأن كل له عمر معيَّن وإلا يختل الكون

وأن كل العناصر موجودة في الكون ينسب معيَّنة، وكل شيء باتزان معيَّن، والمهرمونات داخل

جسمك...

كل شيء بدقة! عظمة متناهية، دقة متناهية لا يفعلها إلا الله سبحانه وتعالى!

{ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ } [الأنعام: ٩٥]، إذا فهمنا فكرة الفلق، ولا يفعلها إلا الله، لذلك تقول:

{ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } [الفلق: ١] قيل الفلق: أي الصبح، وقيل الفلق: أي كل الخلق،

الفلق: المقصود شق الشيء، كما هنا { فَالِقُ الْإِصْبَاحِ } [الأنعام: ٩٦]

أنه - سبحانه وتعالى - قادر أن يخرج من الحبة الصماء نبتة حيَّة لها طعم ولون ورائحة

قادر أن يخرج من الظلام نورًا يشقه، قادر أن يفلق ويفتق ويفطر الأشياء ويخرج منها أشياء أخرى

هو الله - سبحانه وتعالى - فقط الله سبحانه وتعالى.

{ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ } [الأنعام: ٩٥]

وقيل - وهذا من قياس الأمور الكونية على السنن التشريعية -

قيل مرويًا عن ابن عباس وغيره: { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ } أي يخرج الرجل المؤمن من صلب الرجل الكافر.

انظر قاس كلمة الميت والحي على الأمور الإيمانية، وقال { وَخُجِرَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ } أي الكافر من

الإنسان المؤمن؛ وهذه طبعًا لها علاقة بقصة سيدنا إبراهيم { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ } هنا يخرج الحي

من الميت، لو قلنا المؤمن من الكافر تناسب مع { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً }

[الأنعام: ٧٤].

{ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَخُجِرَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ } أي لا يفعلها إلا الله - سبحانه وتعالى -

{ فَأَنِّي تُؤفِكُونُ } [الأنعام: ٩٥]، و { تُؤفِكُونَ } غير (تصرفون)

و(تُصْرَفُونَ) أظن موجودة في ثلاثة مواضع... في يونس وفي أول الزمر وفي غافر "يصرفون"...

(تُصْرَفُونَ) = أن الآية تكون واضحة وأنت تتركها وتمشي، لا تفكر فيها.

{تُؤْفَكُونَ} = أن الحقيقة أمامك وتنسبها إلى غيره، إفك تقلب الحقيقة؛ هذا أشد جرمًا

هم: {الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا} [فصلت: ٤٠] في [فصلت]، {إِذَا هُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ} [يونس: ٢١] في يونس أي ينسبونها لغير الله، تقول الله الذي فعل كذا... يقول لا بل فعلها كذا!!!. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال كما أخبر عن الله -عز وجل- في الحديث القدسي: (من قال مُطْرِنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ)^{١١} هذا الذي يُلحد في آيات الله، هذا هو الذي له مكر في آيات الله.

نعم قد يكون هناك سبب، لكن هو لا يقصد إن هذا سبب وأن الله هو الذي خلق السبب... لا، وإنما يقول إن هذا هو الخالق أو الفاعل الأساسي... النوة الفلانية هي التي فعلت كذا!، فلا يلجأ إلى الله - سبحانه وتعالى-، فلا بد للإنسان أن يرتبط ويربط كل شيء بالله - سبحانه وتعالى- هو فاعل كل شيء على الحقيقة سبحانه وتعالى.

{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} [الأنعام: ٩٦] مثلما أخرج ربُّنا الحَيِّ من المَيِّت، الله -عز وجل- أخرج الصبح من الليل، فلق الليل وأخرج الصبح. {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} وترك الليل لماذا؟ لكي يبقى سَكَنًا. قد يقال: أليس الليل والصبح يأتيان بحركة الشمس والقمر؟... نعم، ربنا هو الذي فعل ذلك أيضًا، نفس الآية، تكملة الآية {وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا}.

من الشبهات الغربية جدًا والتافهة جدًا عند الملاحظة، يقول لك: أنتم تقولون ربنا خلق كل شيء، ونحن ما زلنا نكتشف السبب، يعني أنتم تقولون ربنا هو الذي ينزل المطر، لا؛ نحن اكتشفنا وجود الشحنات والسحب والاختلاف هو الذي ينزل، طيب من الذي فعل هذا؟! نحن قلنا اسم الله الأول،

^{١١} صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرِنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ.

الراوي: زيد بن خالد الجهني | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٨٤٦ | خلاصة حكم المحدث:

فهو سبحانه الفاعل الأول لكل شيء... من الذي فعل هذا؟ ولماذا وقعت هكذا؟ ولماذا ترتبت هكذا؟ لماذا تنظمت بهذه الطريقة؟ لا بد من خالق؛ هذا في الفطر، في العقول السليمة.

فرينا يقول إن حركة الإصباح والليل هذه سببها الحركة التي بحساب دقيق؛ {وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا} بدقة متناهية، {ذَلِكَ} هذا الضبط لا يقدر عليه إلا {العَزِيزُ الْعَلِيمُ}

• لماذا العزيز العليم؟

ابن كثير التقط هنا لقطة جميلة، قال: في الغالب تأتي {العَزِيزُ الْعَلِيمُ} مع الشمس والقمر، كما في سورة يس {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: ٣٨] لماذا؟ حركة الكواكب ضخمة وتسير في مسار معين، تحتاج قدرة خارقة تمنعها من الهروب؛ لذلك ربنا يقول: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ} أي فلك محدد له، {يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: ٣٣] لا يخرج عنه. من الذي يضبط الشمس؟ يقول لها لا تقتربي سنتيمتر من الأرض، والأرض لو اقتربت من الشمس بدرجة معينة تحترق، ولو بعدت تتجمد، من الذي ضبط الدوران بطريقة معينة؟ والقمر يدور بطريقة معينة؟ ويأتي في مكان معين بطريقة معينة، هذا يحتاج عزة؛ لا يُنَارَعُ في ملكه هذه هي العزة {العزيز}.

{العليم}؛ الضبط يحتاج علمًا؛ هذه لرنا. العزيز قادر أن يسيطر ويهيمن - سبحانه وتعالى - على المخلوقات، لا يخرج شيء عن سلطانه - سبحانه وتعالى - {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ} [سبأ: ٣] سبحانه وتعالى، وفي نفس الوقت: عليم؛ دقة كل شيء بعلم منه سبحانه وتعالى {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام: ٩٦].

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام: ٩٧]؛ الله - عز وجل - كما قلنا خلق السموات ووضع فيها النجوم، وهذه تفيدنا أيضًا كما أن الله - عز وجل - جعل في السماء نجومًا ليتهدي بها الناس؛ كذلك قيض الله - عز وجل - في هذا الدين أناسًا نجومًا، مثلما قال: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: ١]

كما أن السماء لها بروج تهدي الناس؛ كذلك جعل الله - عز وجل - في الأرض بروجًا: أناسًا يهدون الناس

{ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا } [الفرقان: ٦١] بعدها { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } [الفرقان: ٦٣] كما أن الله جعل في السماء بروجًا ونجومًا وشمسًا وقمرًا؛ جعل في الأرض أناسًا ينيرون للناس الطريق؛ (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق)^{١٢} هناك أناس ربنا يصطفيهم - نسأل الله أن نكون منهم - أنهم يكونوا بروجًا للناس، يهدون الناس إلى طريق الحق. { فَذُفَّصَلْنَا الْآيَاتِ { الْأُمُورِ وَاضِحَةً } { لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأنعام: ٩٧]

أي لمن يريدون أن يعلموا... الذي يريد أن يصل لربنا سيصل؛ { لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.

{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } [الأنعام: ٩٨] مثلما بدأت قصة الزرع بحبة وملاأت الأرض - الحب والنوى-؛ كذلك كانت نفسًا واحدة { فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } [الأنعام: ٩٨]

• ما معنى { فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ }؟

اختلف العلماء اختلافًا كثيرًا جدًا في كلمة { فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ }:

- ✓ منهم الذي يقول المستقر: صلب الرجل والمستودع الرحم
- ✓ ومنهم الذي يقول المستقر: فوق الأرض والمستودع: باطن الأرض
- ✓ اختار الإمام الطبري - كعادته يختار العموم - أن كل ما ينطبق عليه كلمة مستقر ومستودع فهو داخل في معنى الآية
- ✓ واختار الإمام ابن عطية في (المحرر الوجيز) - كعادته أيضًا - وهو يجزّر قال كلمة جميلة جدًا، قال: الإنسان من ساعة خلقه وحتى يصل للجنة يظل يَمْزُ ويتنقل؛ كان في صلب الرجل ثم ذهب لرحم المرأة، نزل على ظهر الأرض، ثم ينزل لبطن الأرض، ويخرج لأرض الحشر، حتى يستقر في النهاية للقرار النهائي، إما إلى الجنة وإما إلى النار. فقال كل مرحلة من المراحل يصح أن يُطلق عليها مستقر بالنسبة للتي قبلها؛ يعني هو استقر في الرحم بعدما كان في صلب الرجل، فالرحم بالنسبة للصلب هو مستقر.

^{١٢} سبق تخرجه

✓ كلمة (مُسْتَوْدَعٌ) يعني يمكث فيه مدة قصيرة ثم ينتقل، استودعت شيئاً أي تركته وديعة وستأخذها، لذلك أصدق ما يقال على كلمة مستودع أن الرجل يستودع في رحم المرأة النطفة حتى ينزل الطفل ، وأن القبر يُستودع فيه الرجل حتى يُبعث.

فالكلمة الجميلة لابن عطية ونختم بها: كل مرحلة هي مستقر بالنسبة لما قبلها ومستودع لما بعدها. كل مرحلة ماذا؟ مستقر بالنسبة لما قبلها، أي أنه استقرّ في الرحم بعد أن كان في صلب الرجل. فالرحم يمكن أن يقال عنه مستقر بالنسبة لصلب الرجل، ومستودع؟ بالنسبة لظهر الأرض؛ لأنه كان مستودعاً في الرحم ثم نزل إلى ظهر الأرض. فتجد بعض المفسرين قال عن الرحم مستقرًا، وبعضهم قال عنه مستودعًا، ظاهر الأرض أي هو استقر على ظاهر الأرض بعد أن كان مستودعًا في الرحم، أو هو مستودع على ظاهر الأرض إلى أن يستقر في باطنها.

وبالنسبة للقبر: هو استقر في بطن الأرض بعد أن كان على ظهرها، أو هو مستودع في باطن الأرض إلى أن يُبعث.

كل مرحلة هي مستقر بالنسبة لما قبلها ومستودع بالنسبة لما بعدها.

الشاهد؛ كما أن سيدنا إبراهيم من الأشياء التي ركّز عليها في الآيات الثلاث -سواء كان ناظرًا أو مناظرًا-: الحركة؛ حركة النجم وحركة القمر وحركة الشمس، هنا أيضًا الآيات مليئة بالحركة؛ حركة الفلق وخروج النبتة للأعلى والأسفل، حركة الإصباح، حركة الشمس والقمر بحسبان، حركة النجوم... فالإنسان يظل يتقلب { فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ }، الإنسان يظل ينتقل إلى أن يستقر في الجنة أو النار.

نسأل الله أن نكون من أهل الجنة { قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } [الأنعام: ٩٨]. نكتفي بهذا القدر.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا..